

أسلوب البحث.. كطريقة تعبيرية



لابدّ " قبل التعرّف على أسلوب البحث العلمي، أو الأسلوب العلمي Style Scientific من مقدمة تتضمن تعريف الأسلوب على نحو الإطلاق، ثم تقسيمه، فالانتهاء إلى معرفة الأسلوب العلمي.

تعريف الأسلوب:

لغوياً ذُكر للأسلوب أكثر من معنى هي:

الأسلوب: الطريق.

ويُقال: سلكتُ أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبة.

والأسلوب: طريقة الكاتب في كتابته.

والأسلوب: الفن، يُقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة.

ويطلق الأسلوب عند الفلسفه:

- على كيفية تعبير المرء عن أفكاره.

- وعلى نوع الحركة التي يجعلها في هذه الأفكار.

ولعله لهذا عرّفه بعضهم بـ(طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابةً).

وذلك لأنّ الأسلوب من الفروق الفردية التي تميّز الفرد عن الآخر، ولذا قالوا: لكلّ كاتب أسلوبه، ولكلّ عصر أسلوبه.

وترسلمنا هذه التعريفات منطلقين من واقع معرفتنا للأسلوب إلى أزمه - باختصار - طريقة التعبير.

تقسيم الأسلوب:

يقسّم الأسلوب - كطريقة تعبير - إلى ثلاثة أقسام: الأسلوب الخطابي والأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي.

1- الأسلوب الخطابي:

نسبة إلى الخطابة، وهي "فن أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأياً من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي".

وأوضح عبدالنور في (المعجم الأدبي) معنى الخطابة إيقاحاً وافياً بالقاء الضوء على خصائص هذا الفن وعناصر أسلوبه ومؤهلات صاحبه، قال: "خطابة:

1- فن التعبير عن الأشياء بحيث أنّ السامعين يصغون إلى ما يقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة في الحياة اليومية.

وهي تشدّ - عادةً - الرابط بين أذهان السامعين وقلوبهم من جهة، والأفكار التي تنتهي إليهم من جهة أخرى.

وهذا يفرض على المتكلم أن يكون ذا ثقافة واسعة ليتوصل إلى تنسيق خطبه، وتوضيح الأفكار التي يعالجها، وطريقة عرضها لتنتفاع مع المحرّضات النفسية والعقلية في الجمهور.

2- من المفترض في الخطيب أن يكون مفيداً جداً باً مؤثراً.

وكلّ هذا يقضي بتمتعه بعدد من الميزات الذهنية والجسمية والأخلاقية الضرورية.

وأول ما يطلب منه أن يكون بين الذكاء، سريع الخاطر، نافذ الحجة، قادراً على تقليل الأفكار على مختلف جوهاها.

وأن تكون أحکامه صادقة، مفصحة عن الحقيقة، متينة المقدمات والنتائج.

وأن يكون مطلعًا على علم النفس لدى الجماهير فيشعر برهافة حسه ما يجب أن يقال، وما يتحتم أن يُهمل.

وأن يدرك حج الخصم وموقف الجمهور، فيهـ لـكـ " موقف ما يتطلب من حج وبراـهـينـ.

وأن يقدم على الهجوم عند الحاجة، وينكـفـعـ لـلـانـقـضـاـصـ عـنـدـ الـمـنـاسـبـةـ الـمـؤـاـتـيـةـ.

وأن يغـلـفـ أـفـكـارـهـ بـأـقـوالـ دـقـيقـةـ الـمـدـلـولـ، فـكـهـةـ حـيـنـاـ، سـاـخـرـةـ أـحـيـاـنـاـ، آـسـرـةـ لـأـنـتـبـاهـ الـجـمـهـورـ:

كـماـ يـفـرـضـ عـلـيـهـ فـنـ الـخـطـابـةـ أـنـ تـكـوـنـ ذـاـكـرـتـهـ أـمـيـنـةـ، زـاـخـرـةـ بـالـمـعـلـومـاتـ وـالـمـعـارـفـ وـالـشـواـهـدـ.

وـأـنـ يـكـونـ خـيـالـهـ حـادـاـ قـادـراـ عـلـىـ تـجـسـيدـ الـأـفـكـارـ وـالـمـوـافـقـ.

وـأـنـ يـتـفـرـدـ بـإـحـسـاسـ رـهـيفـ لـإـثـارـةـ الـعـوـاطـفـ وـتـحـوـيلـهـاـ مـنـ حـالـةـ إـلـىـ أـخـرىـ، إـلـاـ شـاءـ أـشـجـىـ جـمـهـورـهـ، إـلـاـ أـرـادـ أـثـارـ مـرـحـهـ وـضـحـكـهـ.

وـكـلـ "ـ هـذـهـ الصـفـاتـ مـجـتمـعـةـ هـيـ الـتـيـ تـكـوـنـ الـخـطـيبـ الـبـارـعـ:

3- لا حدود لمضمون الخطبة، لأنّ " موضوعها شامل، يعني بجميع النشاطات الإنسانية التي يتيسر التعبير عنها بالكلام، فليس ثمة موضوع عام أو خاص، مادي أو فكري، أو أخلاقي، أو ديني، أو اقتصادي، أو اجتماعي، أو سياسي، أو أدبي، أو فني، أو علمي، أو قضائي، لم يعذر عنه بخطبة من الخطب".

- نموذج للأسلوب الخطابي:

وأروع نموذج يذكر هنا مثلاً للأسلوب الخطابي هو خطبة الإمام أمير المؤمنين (ع) في الجهاد.

وهي من خطب (نهج البلاغة) رقم 27.

قال (ع) :

"أما بعد: فإنّ" الجهاد بـاـبـ مـنـ أـبـوـاـبـ الجـنـةـ، فـتـحـهـ إـلـىـ لـخـاصـةـ أـوـلـيـائـهـ، وـهـوـ لـبـاسـ التـقـوـىـ، وـدـرـعـ أـلـحـصـيـنـةـ، وـجـُـنـتـهـ الـوـثـيقـةـ، فـمـنـ تـرـكـهـ رـغـبـةـ عـنـهـ أـلـبـسـهـ إـلـىـ ثـوـبـ الـذـلـ، وـشـمـلـهـ الـبـلـاءـ، وـدـيـثـ بـالـصـغـارـ وـالـقـمـاءـ، وـضـرـبـ عـلـىـ قـلـبـهـ بـالـإـسـدـادـ، وـأـدـيـلـ الـحـقـ"ـ مـنـهـ بـتـضـيـعـ الـجـهـادـ، وـسـيـمـ الـخـسـفـ، وـمـنـعـ الـنـصـفـ.

أـلـاـ إـنـّـيـ قدـ دـعـوتـكـمـ إـلـىـ قـنـالـ هـؤـلـاءـ الـقـومـ لـلـيـلـاـ وـنـهـارـاـ، وـسـرـاـ وـإـعـلـانـاـ، وـقـلـتـ لـكـمـ: اـغـزـوـهـمـ قـبـلـ أـنـ يـغـزوـكـمـ، فـوـاـ مـاـ غـزـيـ قـوـمـ قـطـ فـيـ عـقـرـ دـارـهـ إـلـاـ ذـلـواـ، فـتـوـاـكـلـتـمـ وـتـخـاـذـلـتـمـ، حـتـىـ شـنـتـ عـلـيـكـمـ الـغـارـاتـ، وـمـلـكـتـ عـلـيـكـمـ الـأـوـطـانـ.

وهـذاـ أـخـوـ غـامـدـ وـفـدـ وـرـدـتـ خـيـلـهـ الـأـنـبـارـ، وـقـدـ قـتـلـلـ حـسـانـ بـنـ حـسـانـ الـبـكـريـ، وـأـرـالـ خـيـلـكـمـ عـنـ مـسـالـحـهــ.

ولـقـدـ بـلـغـنـيـ أـنـ"ـ الرـجـلـ مـنـهـ كـانـ يـدـخـلـ عـلـىـ الـمـرـأـةـ الـمـسـلـمـةـ، وـالـأـخـرـيـ الـمـعـاهـدـةـ، فـيـنـتـزـعـ حـجلـهـاـ وـقـلـبـهـاـ وـفـلـائـهـاـ وـرـعـاـثـهـاـ، مـاـ تـمـتـنـعـ مـنـهـ إـلـاـ بـالـاسـتـرـجـاعـ وـالـاسـتـرـحـامـ.

ثـمـ اـنـصـرـوـاـ وـافـرـينـ، مـاـ نـالـ رـجـلـاـ مـنـهـ كـلـمـ، وـلـاـ أـرـيقـ لـهـمـ دـمـ، فـلـوـ أـنـ"ـ اـمـرـءـاـ مـسـلـمـاـ مـاتـ مـنـ بـعـدـ هـذـاـ أـسـفـاـ، مـاـ كـانـ بـهـ مـلـوـمـاـ، بـلـ كـانـ بـهـ جـدـيـراــ.

فيما عجباً، عجباً، واه، يميت القلب، ويحلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم على حقّكم.

فقُبحاً لكم وترحًا، حين ضرتم غرضاً يُرمى، يغار عليكم ولا تُغزون، وتُغزون ولا تَغزو، ويعصىوا وترضون.

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الصيف قلتم: هذه حماره القيط، أمهلنا يُسْدِّخْ عنا البرد، كلّ هذا فراراً من الحر والقُرُّ، فإذا كنتم من الحر والقر تفرّون، فأنتم واه من السيف أفر.

يا أشباه الرجال، ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحال، لوددت أندّي لم أركم، ولم أعرفكم معرفة واه جرت ندماً، وأعقبت سدماً، قاتلكم اه، لقد ملأتم قلبي قبحاً، وشحنتم صدري غيطاً، وجرعتموني نُغَبَّ التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.

ـ أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراساً، وأقدم فيها مقاماً مني. لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين،وها أنا ذا قد ذرّت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع".

إنّ مَن يقرأ هذه الخطبة الشريفة قراءة نقدية سيخلص إلى أنّ الإمام (ع) قد اعتمد في أسلوبها على العناصر التالية:

- 1- انتقاء المفردات انتقاء يتناسب وموضع الخطابة ويلتقي وجّه وخطبة.
- 2- قوّة التعبير المعرّب عن مدى التأثير والتأثير.
- 3- استخدام الصيغ الإنسانية كالتعجب والاستفهام استخداماً يضع الصيغة في موضعها السياقي الفني اندفاعاً ودفعاً.

وهذه العناصر من أهم مكونات الأسلوب ومقوماته.

ويرجع هذا إلى أنّ "التعبير": هو القالب اللفظي الذي ينقل العاطفة ويرسم الخيال ويبرز المعنى".

ـ الأسلوب الأدبي:

نسبة إلى الأدب الذي يراد به - هنا - "الكلام الإنساني البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين".

وهو ما يعرف قدیماً بـ(صناعة الأدب).

أو كما يعرّفه (المورد - مادة Literature الأدب: مجموع الآثار النثرية والشعرية المتميزة بجمال الشكل أو المياغة، والمعبرة عن فكرات ذات قيمة باقية).

ويتحدّث عنه عبدالنور فيقول: "الأدب في معناه الحديث هو علم يشمل أصول فن الكتابة، ويعني بالآثار الخطية، النثرية والشعرية".

وهو المعبر عن حالة المجتمع البشري، والممرين بدقة وأمانة عن العواطف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارات.

موضوعه :

وصف الطبيعة في جميع مظاهرها، وفي معناها المطلقة، في أعماق الإنسان، وخارج نفسه، بحيث أزّه يكشف عن المشاعر من أفراح وآلام، ويصوّر الأخيلة والأحلام، وكلّ ما يمر في الأذهان من الخواطر.

من غاياته :

أن يكون مصدراً من مصادر المتعة المرتبطة بمصير الإنسان وقضايا الاجتماعية الكبرى، فيؤثر فيها وينفعها بعنصريه الفنية.

وبذلك يكون أداة في صقل الشخصية البشرية وإسعادها، ويتتيح لها التبلّور والكشف عن مكنوناتها.

وهو يؤدي من خلال فنونه المتطوّرة، والمعاني المتراكمة خلال الأزمنة، والمستحدثات المعاصرة في شموليتها الإنسانية أو حصريتها الفردية.

ويبرز في نصوصه المتوارثة إسهام الشعوب كبيرة وصغرى، قديمة ومعاصرة، في بناء الحضارة، متخيلاً المزاوجة بين المضمون والشكل ليجعل منهما وحدة فنية.

يستوعب الأدب معظم الفنون الأخرى ويتراوّزها :

باستعماله الأصوات والجرس وتناغم المقاطع هو موسيقى. وبالتالي والتركيب واللون وبراعة الأسلوب هو هندسة معمارية ورسم ونحت. وهو يخلق بجناحي الفكر متخطيلاً الزمان والمكان. ولذلك يعتبر الأدب أكمل الفنون وأسمها.

وهو أقلها تعرضاً للفناء، لأنّ عوامل الزمان والمكان تعجز عن تدميره والقضاء عليه، لا سيما بعد اهتداء الإنسان إلى عملية النساخة والطبعنة.

ففي حين أنّ لوحة الرسام قد تتعرضاً للفساد أو للحرق، وأنّ التمثال قد يتحطم، فإنّ الأثر الأدبي متعدد نسخه، وانتشاره في أماكن مختلفة ينجو في معظم الأحيان من الصياغ.

- نموذج الأسلوب الأدبي:

نص رسالة من عبد الحميد بن يحيى بعث بها إلى أهله وهو منهزم من مروان إثر سقوط الدولة الأموية:

"أما بعد: فإنّ الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها، ومن عصته بنا بها ذمها ساخطاً عليها، وشكاه مستزيداً لها، وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحلليناها، ثم جمعت بنا نافرة، ورحمتنا مولية، فملح عذبها، وخشن لينها، فأبعدتنا عن الأوطان، وفرّقتنا عن الإخوان، فالدار نازحة، والطير بارحة.

وقد كتبت الأيام تزييناً منكم بُعداً، وإليكم وجداً، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر

العهد بكم وبناء، وإن يلحقنا طفر جار من أطفار عدونا نرجع إليكم بذل الإسرار، والذل شرّ جار.

نَسْأَلُ إِنَّمَا تَعَالَى الَّذِي يَعْزِزُ مَنْ يَشَاءُ وَيَذْلِلُ مَنْ يَشَاءُ، أَنْ يَهْبَطْ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةُ جَامِعَةٍ فِي دَارِ آمِنَةٍ،
تَجْمَعُ سَلَامَةَ الْأَبْدَانِ وَالْأَدِيَانِ، إِنَّمَا هُوَ رَبُّ الْعَالَمَيْنِ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ".

والأسلوب الأدبي الرائع، والتصوير الدقيق، وتلمس أوجه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنى ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي.

3- الأسلوب العلمي:

نسبة إلى العلم، والعلم هو المعرفة المنظمة.

والأسلوب العلمي: هو الشكل أو الصورة اللفظية التي تصاغ فيها المادّة العلمية أو المضمون الفكري.

ومن أهم مقومات الأسلوب العلمي:

1- الالتزام باللغة العلمية شكلاً، والفكر المنطقي مضموناً .

2- الدقة في صوغ العبارة صياغة تعتمد الألفاظ الحقيقة، وتبعد عن استخدام الألفاظ المجازية والمحسنات الكلامية.

3- الوضوح في الأداء، والابتعاد عن الغموض.

4- الاقتراب من ذهن المخاطب بالأسلوب - قارئاً كان أو ساماً - ما أمكن ذلك.

5- وضع العبارات في خط سياقها متراقبة لفطاً ومعنى، بحيث تمهد السابقة للاحقة، وتأخذ التالية بعنان المتقدمة .

المصدر: كتاب أصول البحث